البسملة: تفسيرها وأهميتها

د. حلمي كامل عبد الهادي*

Abstract

This study includes the interpretation of Al-Basmalah, which means : saying (In The Name of Allah), most Gracious, most Gracious, most Merciful.

In this study, the researcher mentioned the sayings of the greatest interpreters, the earliers and the laters.

Then he explained the importance of Al-Basmalah and the extent of its effect on the moslem's life .

Then , he mentioned its benefits which are indispensable for any scholar.

الملخص

يتضمن هذا البحث تفسير البسملة وهي قول القائل (بسم الله الرحمن الرحيم) وقد بين فيه الباحث أقوال أعيان المفسرين من المتقدمين والمتأخرين ثم بين أهمية البسملة ومدى تأثيرها في حياة المسلم وذكر أهم فوائدها ، ثم أتبع ذلك بفوائد عامة للبسملة لا يستغني عنها طالب العلم .

* أستاذ مشارك –كلية الشريعة – جامعة النجاح – نابلس – فلسطين .

مقدمة :

الحمـــد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه ، وجنده وحزبه ، ومن سار على دربه إلى يوم الدين وبعد ،،

فإنـــه إذا كـــان شرف العلم من شرف المعلوم ، فإن العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم هي أشرف العلوم وأفضلها وخير الناس من تعلمها وعلمها مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[1] .

وإن لعـــلم التفسير بين هذه العلوم شأناً خاصاً ودرجة سامية ، إذ هو ذروة سنامها ، وأعلاها منزلة ، وأعظمها مرتبة .

قـــال الشوكاني (إن أشرف العلوم على الإطلاق وأولاها بالتفضيل على الاستحقاق ، وأرفعها قـــدراً بالاتفـــاق هو علم التفسير لكلام القوي القدير ، إذا كان على الوجه المعتبر في الورود والصـــدر ، غير مشوب من التفسير بالرأي الذي هو من أعظم الخطر وهذه الأشرفية غنية عن البرهان)[2].

---

(1)رواه ابن حنبل : أحمد بن محمد ، المسند (1 : 412 ، 413 ، 500) دار الفكر ـــ بيروت ، والبخاري : محمـــد بن إسماعيل في صحيحه مع شرحه فتح الباري (9 : 74 كتاب فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه) المطبعة السلفية ـــ القاهرة ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، والسجستاني : أبو داود سليمان بن الأشـــعث في ســـننه مع شرحها عون المعبود (4 : 325 أبواب الوتر باب فـــي ثواب قراءة القرآن) المكتبة الســـلفية ـــ المدينة المنورة ، ط2 ، 1388 ـــ 1968 ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، والترمذي : محمد بن عيسى في سننه (5 : 173 كتاب فضائل القرآن باب ما جاء في تعليم القرآن) دار إحياء التراث العربي ـــ بـــيروت ، تحقيق إبراهيم عطوة ، وابن ماجة : محمد بن يزيد في سننه (1 : 76 ، 77 المقدمة باب فضل من تعلم القرآن وعلمه) المكتبة العلمية ـــ بيروت ، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي . كلهم من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم .

(2)) الشوكاني : محمد بن علي ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (1 : 11، 12) دار الفكر ـــ بيروت .

ولما عزمت على كتابة بحث في كون البسملة آية من القرآن أو لا [1]، أحببت أن أكتب بحثاً في تفسيرها وأهميتها ليكون كالمقدمة بين يديه .

وقد ضمنته فوائد وفرائد جمعتها من أمهات كتب التفسير واللغة والحديث وغيرها لا تجدها مجموعة في كتاب ونبهت على لطائف وحكم يحتاجها طلاب العلم وغيرهم ، وتكون تذكرة للمعلم ، وتبصرة للمتعلم ووسمته بـ

البسملة: تفسيرها وأهميتها

وجعلته في مبحثين وخاتمة :ـ

المبحث الأول : تفسير البسملة .

المبحث الثاني : أهميتها وفوائدها .

الخاتمة : وأذكر فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث .

المبحث الأول

تفسير البسملة[2] وهي قول القائل (بسم الله) أو (بسم الله الرحمن الرحيم) والثاني هو المراد هنا .

---

(1) وذلك عندما قرأت قول النووي : يحيى بن شرف (اعلم أن مسألة البسملة عظيمة مهمة ينبني عليها صحة الصلاة التي هي أعظم أركان الإسلام بعد التوحيد) المجموع شرح المهذب (3 : 267) المكتبة العالمية ـ القاهرة ، تحقيق وتعليق محمد نجيب المطيعي يعني الإمام النووي أنه إذا كانت البسملة من الفاتحة و لم يأت بها بطلت صلاته .

(2) من عادة العرب أن تختصر بعض الجمل في كلمة واحدة وتسميه النحت ، فتقول : البسملة : حكاية لقول : بسم الله ، والسبحلة : حكاية قول : سبحان الله ، والهيللة : حكاية قول لا إله إلا الله ، والحوقلة : حكاية قول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، والحمدلة: حكاية قول : الحمد لله ، والحيصلة : حكاية قول : حي على الصلاة ، والحيفلة : حكاية قول : حي على الفلاح ، والطلبقة : حكاية قول : أطال الله بقاءك ، والدمعزة : حكاية قول : أدام الله عزك ، والجعفلة : حكاية قول : جعلت فداءك . أنظر الثعالبي : عبد الملك بن محمد ، فقه اللغة وسر العربية (ص216 ، 217) ط ، 1392 ـ 1972 ، والقرطبي : محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن (1 : 69) دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط1 ، 1408 ـ 1988 .

قال الخليل (بسمل الرجل إذا كتب بسم الله) [1]وقال الجوهري (بسمل الرجل إذا قال بسم الله) [2].

وجمع بينهما في لسان العرب فقال (بسمل الرجل إذا كتب أو قال بسم الله) [3].

وفي المعجم الوسيط (بسمل بسملة إذا قال : بسم الله الرحمن الرحيم أو كتبها) [4].

والباء في (بسم) متعلقة بمحذوف إما أن يكون اسماً أو فعلاً ، وعلى التقديرين يجوز أن يكون متقدماً أو متأخراً ، فإذا قدرناه اسماً متقدماً فكقولنا : ابتداء الكلام باسم الله ، وإذا قدرناه اسماً متأخراً ، فكقول القائل : بسم الله ابتدائي ، وإذا قدرناه فعلاً متقدماً فهل هو أمر أو بمعنى الخبر :ذهب الفراء إلى أنه فعل أمر ، والتقدير [5]: ابدأ أو ابدؤوا أو قولوا (بسم الله) ورجحه الجصاص والكياالهراس قال الجصاص [6]: وفي نسق السورة دلالة على أنه أمر ، وهو قوله تعالى (إياك نعبد ، ومعناه قولوا إياك نعبد) ودل على الأمر قوله تعالى (اقرأ بسم ربك) [7].

---

(1)الفراهيدي : الخليل بن أحمد ، كتاب العين (1 : 164) ط1 ، 1414 ، تحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي .

(2)الجوهري : إسماعيل بن حماد ، الصحاح (4 : 1634 ، 1635) ط2 ، 1402 ــ 1982 .

(3)ابن منظور:محمد بن مكرم ،لسان العرب(11 : 56) دار صادر ــ بيروت، ط1، 1410 ــ 1990 .

(4)مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط (1 : 57) المكتبة العلمية ــ طهرا .

(5)انظر الفراء : يحيى بن زياد ، معاني القرآن (1 : 2) عالم الكتب ــ بيروت ، ط2 ، 1980 ، والقرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (1 : 70) .

(6)الجصاص:أبو بكر أحمد بن علي الرازي ، أحكام القرآن (1 : 7) دار الفكر ــ بيروت ، ببعض تصرف،ونحوه ذكر الكياالهراس:أبو الحسن عماد الدين بن محمد الطبري في أحكام القرآن (1 : 22) دار الكتب الحديثة ــ القاهرة .

(7)سورة العلق (1) .

وذهب الزجاج أنه على معنى الخبر والتقدير : بدأت أو أبدأ (بسم الله) قال الزجاج (الجالب للباء معنى الإبتداء فكأنك قلت : بدأت بسم الله الرحمن الرحيم ، إلا أنه لم يحتج لذكر بدأت لأن الحال ينبيء أنك مبتدي) [1].

وإذا قدرناه فعلاً متأخراً فكقول القائل : بسم الله أبدأ .

قال الجصاص (وهو إذا كان خبراً ، فإنه يتضمن معنى الأمر ، ولا يبعد أن يكون الضمير لها جميعاً فيكون الخبر والأمر جميعاً مرادين لاحتمال اللفظ لهما) [2]زاد الكياالهراس (ولو صرح بأحدهما امتنعت إرادة الآخر) [3].

ورجح جمهور المفسرين منهم الطبري والجصاص والكيا والزمخشري وغيرهم أن يكون المقدر فعلاً [4]وهو مذهب الكوفيين [5]ورجح الرازي أن يكون إسماً [6]وهو مذهب البصريين [7].

---

(1) الزجاج : إبراهيم بن السري ، معاني القرآن وإعرابه (1 : 39) عالم الكتب ــ بيروت ، ط1 ، 1408 ــ 1988 ، وانظر السمرقندي : أبو الليث محمد بن أحمد ، بحر العلوم (1 : 75) دار الكتب العلمية ــ بيروت ، ط1 ، 1413 ــ 1993 .

(2)الجصاص ، أحكام القرآن (1 : 7) .

(3)الكياالهراس ، أحكام القرآن (1 : 22) .

(4)انظر الجصاص ، أحكام القرآن (1 : 7) والكياالهراس ، أحكام القرآن (1 : 22) والطبري : محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (1 : 51) مطبعة مصطفى البابي الحلبي ــ القاهرة، ط3 ، 1388 ــ 1968 ، والزمخشري : محمود بن عمر ، الكشاف عن حقائق التنزيل (1: 26) مطبعة مصطفى البابي الحلبي ــ القاهرة .

(5)ابن جزي: محمد بن أحمد ، التسهيل في علوم التنزيل (1 : 53) مطبعة الإحسان ــ القاهرة ، تحقيق محمد اليونسي وإبراهيم عطوة .

(6)الرازي:فخر الدين محمد بن عمر،التفسير الكبير(1 : 109) دار الفكر ــ بيروت،1403 ــ 1981.

(7)ابن جزي: محمد بن أحمد ، التسهيل في علوم التنزيل (1 : 53) مطبعة الإحسان ــ القاهرة ، تحقيق محمد اليونسي وإبراهيم عطوة .

قال الشوكاني (والخلاف بين أئمة النحو في كون المقدر إسماً أو فعلاً لا يتعلق به كبير فائدة [1].

وقال ابن كثير (إن القولين متقاربان وكل قد ورد به القرآن[2] فمن قدره إسماً فلقوله تعالى (وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها) [3]، ومن قدره فعلاً فلقوله تعالى:(اقرأ بسم ربك)[4].

والباء في (بسم) للإستعانة أو للمصاحبة تبركاً[5]، ورجح الثاني الزمخشري على أن المعنى : متبركاً باسم الله تعالى أقرأ . وهذا وما بعده ـــ أي من الفاتحة أو من القراءة ـــ مقول على ألسنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ، ويسأل من فضله[6] .

وذهب السمرقندي وابن كثير إلى أنها تفيد المعنيين كليهما الإستعانة والمصاحبة للتبرك .

قال السمرقندي (يعني قوله (بسم الله) بدأت ، بعون الله وتوفيقه وبركته ، وهذا تعليم من الله لعباده ليذكروا اسم الله تعالى عند افتتاح القراءة وغيرها ، حتى يكون الافتتاح ببركة إسم الله تعالى[7] .

وقال ابن كثير (فالمشروع ذكر اسم الله في الشروع في كل فعل تبركاً وتيمناً واستعانة على الإتمام والتقبل والله أعلم) [8]

---

(1)الشوكاني: محمد بن علي ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (1 : 18) دار الفكر ـــ بيروت .

(2)ابن كثير:أبو الفداء إسماعيل بن عمر ، تفسير القرآن العظيم (1 : 18)دار إحياء الكتب العربية ـــ بيروت.

(3)سورة هود (41) .

(4)سورة العلق (1) .

(5)ابن كثير،تفسير القرآن العظيم (1 : 18)وأبو السعود:ابن محمد العماد الحنفي،إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم(1 : 9)مكتبة الرياض الحديثة ـــ الرياض، 1401 ـــ 1981 .

(6)انظر الزمخشري ، الكشاف (1 : 32) والبيضاوي : عبد الله بن عمر ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ص2) دار الفكر ـــ بيروت .

(7)السمرقندي ، بحر العلوم (1 : 76) .

(8)ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (1 : 18) .

والاسم مشتق من السمو وهو العلو وهو مذهب البصريين[1]،أصله سمو، فلامه واو محذوفة.

ولما كان من الأسماء التي بنوا أوائلها على السكون زادوا في أوله الهمزة إذا نطقوا به لكي لا يقع الابتداء بالساكن وإنما حذفت كتابة الألف في بسم الله هنا لكثرة الاستعمال ، وأثبتت في (اقرأ باسم ربك) لقلة الاستعمال[2] .

فهو يدل على العلو والرفعة إذ التسمية تنويه بالمسمى وإشادة بذكره[3] فقيل اسم لأن صاحبه بمنزلة المرتفع به وقيل لأن الاسم يسمو بالمسمى فيرفعه عن غيره ، وقيل إنما يسمى الاسم اسماً لأنه علا بقوته على قسمي الكلام الحرف والفعل ، والاسم أقوى منهما بالإجماع لأنه الأصل ، فلعلوه عليهما سمي اسماً[4] فهو لدلالته على مسماة يعليه من حضيض الخفاء إلى ذروة الظهور والجلاء[5] .

---

(1)ابن جزي ، التسهيل (1 : 53) وأبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط (1 : 14) دار الفكر ـــ بيروت ، 141 ـــ 1992 ، وأفاد البغوي :الحسين بن مسعود أن اشتقاقه من السمو قول المبرد من البصريين، والقول أنه من السمة قول ثعلب من الكوفيين ، معالم التنزيل (1 : 24)دار الفكر ـــ بيروت، 1405 ـــ 1985 .

(2)انظر ابن جزي ، التسهيل (1 : 53) والقرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (1 : 71) والزجاج ، معاني القرآن (ص41) .

(3)الزمخشري ، الكشاف (1 : 35) .

(4)القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (1 : 71) .

(5)الألوسي:شهاب الدين محمود،روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني(1 : 52) مكتبة دار التراث، القاهرة،والجرجاني:علي بن محمد،حاشية الجرجاني على الكشاف(1 : 35)مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـــ مصر.

وقـــيل مشتق من السمة وهي العلامة وهو مذهب الكوفيين[1] لأن الاسم علامة على المسمى، فأصل اسم على هذا (وسم) فحذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل[2].

ورجح الأول جماهير المفسرين منهم القرطبي وأبو حيان والبيضاوي وأبو السعود والألوسي و لم يذكر الزمخشري والشوكاني والنسفي[3] غيره ورجح ابن جزي الثاني قال لأن الإسم علامة على المسمى[4].

والصـــحيح مـــا ذهـــب إليه الجمهور لأنه يقال في التصغير سمي ، وفي الجمع أسماء ، والجمع والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها[5]، ولو كان من وسم لقيل وسيم واو سام ، كما أنه يقال سميت فلاناً ولا يقال وسمته .

قـــال الزجاج (من قال إن اسماً مأخوذ من وسمت فهو غلط لأنه لو كان من سمة لكان تصغيره وسيم)[6].

والإسم هو المسمى وعينه وذاته ، قال تعالى (إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى)[7]ثم نادى الإسم وقال (يـــا يحـــيى)[8]وقال (ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها)[9]وأراد الأشخاص المعبودة لأنهم كانوا يعبدون المسميات .

---

(1)ابن جزي ، التسهيل (1 : 53) وأبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط (1 : 14) دار الفكر ـــ بيروت ، 1412 ـــ 1992 ، وأفـــاد البغوي : الحسين بـــن مسعود أن اشتقاقه مـــن السمـــو قـــول المبرد من البصريين ، والقول أنه من السمة قول ثعلب من الكوفيين ، معالم التنزيل (1 : 24) دار الفكر ـــ بيروت ، 1405 ـــ 1985 .

(2)ابن جزي ، التسهيل (1 : 53) والألوسي ، روح المعاني (1 : 52)

(3)انظـــر تفاسيرهم حسب الصفحات السابقة ، والنسفي : عبد الله بن أحمد ، تفسير النسفي (1 : 4) دار إحياء الكتب العربية .

(4)انظر التسهيل (1 : 53) .

(5)انظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن(1 : 71)والألوسي،روح المعاني (1 : 52)والبغوي،معالم التنزيل(1 : 24)

(6)الزجاج ، معاني القرآن (1 : 40) .

(7)سورة مريم (7) .

(8)سورة مريم (12) .

(9)سورة يوسف (40) .

وقـــال (سبح اسم ربك) [1] (تبارك اسم ربك) [2]. فإن قيل : ما معنى التسمية من الله لنفسه ؟ قيل : هو تعليم لعباده كيف يستفتحون القراءة[3].

ولفظ الجلالة (الله) علم على المعبود بحق ، وهو أخص أسمائه سبحانه وتعالى به وأكبرها وأجمعها ولم يتسم به غيره .

واختلفوا في هذا الإسم ، هل هو إسم علم للذات ، جامد غير مشتق ، أي لا يوجد له اشتقاق في كلام العرب ، من فعل يفعل ، أو هو إسم مشتق من صفة ، على قولين :ـــ

أحدهمـــا : أنـــه اسم علم لذاته سبحانه غير مشتق من صفاته ، لأن أسماء الصفات تكون تابعة لأسمـــاء الـــذات ، فلم يكن بد من أن يختص باسم ذات يكون علماً ، لتكون أسماء الصفات والنعوت تبعاً[4].

ونقل هذا القول القرطبي عن الشافعي والخطابي وإمام الحرمين والغزالي وغيرهم ، قال الخطابي : ألا ترى أنك تقول يا الله ولا تقول يا الرحمن ولا يا الرحيم ، فلولا أنه من أصل الكلمة لما جاز إدخـــال النداء على الألف واللام[5]ورجحه الرازي وذكر أنه قول الخليل وسيبويه وقول أكثر الفقهاء والأصوليين[6].

قال الخليل : هو إسم علم خاص لله عز وجل كأسماء الأعلام للعباد مثل زيد وعمرو لا اشتقاق له[7]وقال أبو الليث السمرقندي (هو أجل من أن يذكر له الإشتقاق وهو قول الكسائي ومحمد

---

(1)القرطسورة الأعلى (1) .

(2)سورة الرحمن (78) .

(3)البغوي ، معالم التنزيل (1 : 24) .

(4)الماوردي :علي بن محمد،النكت والعيون(1 : 50)والقرطبي،الجامع لأحكام القرآن(1 : 72) .

(5)القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (1 : 73) ..

(6)الرازي ، التفسير الكبير (1: 162) وقال أبو حيان في البحر المحيط(1 : 28) انه قول الأكثرين .

(7)البغوي ، معالم التنزيل (1 : 24) وما ذكره معنى كلام الخليل بن أحمد في كتاب العين (1 : 98) ط1 ، 1414 .

بن الحسن الرؤاسي[1] ـــ أستاذ الكسائي والفراء ـــ زاد النسفي :انه قول الزجاج والحسين بن الفضل[2] .

الثاني : أنه مشتق من أله بمعنى عبد ، والألوهية : العبادة ، وفلان يتأله : أي يتعبد ، أو بمعنى تحير لأن العقـــــول تـــتحير في معرفة حقائق صفاته ، أو بمعنى سكن لأن القلوب تطمئن بذكره ، والأرواح تســـكن إلى معرفـــته ، أو بمعنى فزع إذ العابد يفزع إليه ، أو من أله الفصيل إذا ولع بأمه، إذ العباد يولعون بالتضرع إليه في الشدائد[3] .

وقيل : هو من وله إذا تحير لما تقدم ، وقيل : هو من لاه يليه إذا ارتفع لأنه مرتفع عن كل شيء مما لا يليق به أو من لاه يلوه : إذا احتجب،لأنه محجوب عن إدراك الأبصار[4].

وأصـــله إلـــه:فعـــال بمعنى مفعول لأنه مألوه أي معبود،أو مألوه إليه لأن العباد يألهون إليه أي يفـــزعون إلـــيه في أمورهم كقولنا للمؤتم به إمام،حذفت الهمزة من إله وعوضت عنها الألف واللام[5].

وذهـــــب الزمخشـــري أن أصله الإله ، حذفـــت الهمزة الوسطى وأدغمت اللام الأولى فـــي الثانيـــة فصارتا لاماً مشددة[6] .

---

(1)رقندي ، بحر العلوم (1 : 76) .

(2)النسفي : تفسير النسفي (1 : 4) .

(3)النسفي : عبد الله بن أحمد ، تفسير النسفي : دار إحياء الكتب العربية .

(4)الـــرازي ، التفســـيـــر الكبـــيـــر (1 : 165 ـــ 168) حيـــث ذكـــر هـــذه المعانـــي بشكـــل مسهـــب ، واختصرها البيضاوي فـــي أنـــوار التنزيـــل (1 : 3) وأبـــو حيـــان فـــي البحـــر المحيـــط (1 : 28) والبغوي ، معالم التنزيل (1 : 24 ، 25) وابن الجوزي : جمـــال الدين عبـــد الرحمن بـــن علي زاد المسير فـــي علـــم التفسير (1 : 7) دار الكتب العلمية ـــ بيروت ، ط1 ، 1414 ـــ 1994 .

(5)رقندالجـــوهري : إسماعيـــل بـــن حمـــاد ، الصحاح (6 : 2223 مادة أله) والقرطبي ، الجامع لأحكام القرآن 01 : 72) والألوسي ، روح المعاني (1 : 54) وذهب الجوهري أن الهمزة حذفت تخفيفاً عند دخول الألـــف واللـــام لكثرته في الكلام لا أن الألف واللام عوض منها قال : ولو كانتا عوضاً منها لما اجتمعتا مع المعوض منه في قولهم (الإله) قال : وسمعت أبا علي النحوي يقول إن الألف واللام عوض منها .

(6)الزمخشري ، الكشاف (1 : 35) والألوسي ، روح المعاني (1 : 54) .

والإلـــه : من أسماء الأجناس يقع على المعبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق ، وأما الله فمختص بالمعبود بالحق لا يطلق على غيره [1] .

وهـــذا الإســـم (الله) هـــو الإســـم الجـــامـــع لصفـــات الإلهيـــة ، المنعـــوت بنعـــوت الربـــوبـــيـــة المتفرد بالوجـــود الحقيقـــي ، الـــذي يستحـــق أن يعبـــد[2] وحكـــي عـــن أبـــي حنـــيفة أنه اسم الله الأعظم[3] ويـــوصف بجميـــع صفـــات الكمـــال كمـــا قـــال تعالـــى (هـــو الله الـــذي لا إله إلا هـــو عالم الغيب والشهادة هـــو الرحمن الرحيم ، هـــو الله الذي لا إله إلا هـــو الملك القـــدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبـــار المتكبر سبحان الله عمـــا يشـــركـــون ، هـــو الله الخالق الباريء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) [4]فأجرى الأسماء الباقية كلها صفات له كما قال تعالى (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) [5].

قـــال أبو الحسن الطبري (إلى الإسم الله ينسب كل إسم له ، فيقال : الرؤوف الكريم من أسماء الله تعالى ، ولا يقال من أسماء الرؤوف أو الكريم (الله) [6].

وفي الصـــحيحين مـــن حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن لله تسعة وتسعين إسماً مائة إلا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة وإن الله وتر يحب الوتر) [7]وجاء تعدادها

---

(1)الزمخشري ، الكشاف (1 : 36) والبيضاوي ، أنوار التنزيل (ص3) .

(2)القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (1 : 72) .

(3)المـــاوردي ، النكـــت والعيـــون (1 : 50) وانظـــر النـــووي : يحيى بـــن شرف ، شـــرح النـــووي علـــى مسلم (17 : 5) المطبعة المصرية .

(4)سورة الحشر (22 ــ 24) .

(5)سورة الأعراف (180) .

(6)الكياالهراس ، أحكام القرآن (1 : 24) وانظر شرح النووي على مسلم (17 : 5).

(7)رواه البخـــاري فـــي صحيحـــه بشرحـــه فتـــح البـــاري (13 : 377 كتـــاب التوحيـــد بـــاب إن لله مائة إسم إلا واحدة) والنيسابـــوري مسلم بـــن الحجـــاج فـــي صحيحـــه (4 : 2063) كتـــاب الذكر والدعاء باب أسمـــاء الله تعالى ، وفي رواية لمسلم (4 : 2062) من حفظها بدل من أحصاها ، وفي رواية للبخاري (11 : 214 كتاب الدعوات باب لله مائة إسم غير واحدة) (لا يحفظها أحد) .

في رواية الترمذي وابن ماجة وبين الروايتين اختلاف زيادة ونقصان[1].

ـ الرحمن الرحيم ـ

لما ذكر سبحانه اسمه (الله) المفيد للقهر والقدرة والعلو ذكر عقيبه (الرحمن الرحيم) ليدل على أن رحمته أكثر وأكمل من قهره[2].

قلت:وقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لما قضى الله الخلق كتب في كتابه على نفسه،فهو موضوع عنده إن رحمتي تغلب غضبي)[3].

والـرحمن الرحيم وصفان لله تعالى واسمان من أسمائه الحسنى دالان على أنه سبحانه وتعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء وعمت كل حي وكتبها للمتقين المتبعين لأنبيائه

وليس في هذا الحديث حصر أسمائه سبحانه ، فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين ، وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة ، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء ، انظر النووي : يحيى بن شرف ،شرح النووي على مسلم (17 : 5) ومعنى قوله (من أحصاها) قال النووي (اختلفوا في المراد بإحصائها) فقال البخاري وغيره من المحققين معناه : حفظها ، وهذا هو الأظهر ، لأنه جاء مفسراً في الرواية الأخرى (من حفظها) وقيل : أحصاها : عدها في الدعاء بها ، وقيل : أطاقها أي أحسن المراعاة لها والمحافظة على ما تقتضيه وصدق بمعانيها وقيل العمل بها والإيمان بما لا يقتضي عملاً ، وقال بعضهم المراد حفظ القرآن وتلاوته كله لأنه مستوف لها وهو ضعيف والصحيح الأول) أ.هـ شرح النووي على مسلم (17 : 5 ، 6) وانظر ابن حجر : أحمد بن علي : فتح الباري (11 : 220) المطبعة السلفية .

(1)رواه الترمذي : محمد بن عيسى في سننه (5 : 530 كتاب الدعوات باب رقم 83) دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، وابن ماجة : محمد بن يزيد في سننه (2 : 1269 كتاب الدعاء باب أسماء الله عز وجل) المكتبة العلمية ـ بيروت ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي . وقال الترمذي : هذا حديث غريب ، ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عند أهل الحديث .أ.هـ .

(2)انظر الرازي ، التفسير الكبير (1 : 174) .

(3)رواه البخاري في صحيحه (6 : 287 كتاب بدء الخلق باب قول الله تعالى : وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده) ومسلم في صحيحه (4 : 2108) كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى) .

ورسله فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة ومن عداهم فله نصيب منها[1].

والجمهور على أنهما مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة[2]والرحمن أشد مبالغة من الرحيم ومعناه :ذو الرحمة التي لا نظيرله فيها،فلذلك لا يثنى ولا يجمع كما يثنى (الرحيم ويجمع)[3].

قال ابن كثير والشوكاني (وفي كلام ابن جرير ما يفهم منه حكاية الإتفاق على هذا)[4] يعنيان اتفاق أهل اللغة .

قلت : يشيران إلى قول ابن جرير (فإن قال قائل : وما المعنى الذي انفردت به كل واحدة منهما ، فصارت أحداهما غير مؤدية المعنى عن الأخرى ؟ قيل : أما من جهة العربية فلا تمانع بين أهل المعرفة بلغات العرب أن قول القائل (الرحمن) من أبنية الأسماء من فِعل ويفعَل أشد عدولاً من قول (الرحيم) ولا خلاف مع ذلك بينهم أن كل إسم كان له أصل من فعل ويفعل ، ثم كان عن أصله من فعل ويفعل أشد عدولاً أن الموصوف به مفضل على الموصوف بالإسم المبني

---

(1)السعدي : عبد الرحمن بن ناصر،تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،إدارة البحوث والإفتاء ـــ الرياض، 1404 .

(2)وذهب قوم أنه لا اشتقاق له لأنه من الأسماء المختصة به سبحانه ، ولأنه لو كان مشتقاً من الرحمة لاتصل بذكر المرحوم فيقال : الله رحمن بعباده كما يقال : رحيم بعباده ، كما أنه لو كان مشتقاً لم تنكره العرب فقالوا (وما الرحمن) الفرقان (60) .

قال ابن الحصار (ومما يدل على الاشتقاق ما خرجه الترمذي وصححه عن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (قال الله عز وجل : أنا الرحمن ، خلقت الرحم ، وشققت لها إسماً من إسمي ، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته) وهذا نص في الإشتقاق فلا معنى للمخالفة والشقاق ، وإنكار العرب له لجهلهم بالله وبما وجب له)أ.هـ .

قلت : الحديث الذي ذكره في سنن الترمذي (4 : 315 كتاب البر والصلة باب ما جاء في قطيعة الرحم) وفيه (بتته) بدل (قطعته) .

(3)القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (1 : 74) وانظر ابن الجوزي : جمال الدين عبد الرحمن بن علي ، زاد المسير في علم التفسير (1 : 7 ، 8) دار الكتب العلمية ـــ بيروت ، ط1 ، 1414 ـــ 1994 .

(4)ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (1 : 20) والشوكاني ، فتح القدير (1 : 18)

على أصله من فعل ويفعل إذا كانت التسمية بـه مدحـاً أو ذمـاً ، فهذا ما في قـول القائل (الرحمن) من زيادة المعنى على قوله (الرحيم) في اللغة[1] .

يريـد ابـن جرير أن زيـادة المبنى تـدل على زيـادة المعنى ، ولمـا كـان فـي (رحيم) زيادة على الفعل (رحم) حـرف واحـد ـ وهـو الياء ـ بينما فـي (رحمن) زيادة حرفين ـ وهمـا الألف والنون ـ كان لفظ (الرحمن) أشـد عدولاً عن أصله الذي هـو رحم لهذه الزيادة لذا كان مفضلاً في المعنى أي زائداً عليه وأشد مبالغة منه[2] .

قـال الـزجاج (بـناء فعلان من أبنية ما يبالغ في وصفه ألا ترى أنك إذا قلت غضبان فمعناه الممتليء غضباً فرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء)[3] .

قـال ابن عاشور (وبعد كون كل من صفتي الرحمن والرحيم دالة على المبالغة في اتصافه تعالى بالـرحمة ، فقـد قال الجمهور أن الرحمن أبلغ من الرحيم بناء على أن زيادة المبنى تؤذن بزيادة المعنى ، وإلى ذلك مال جمهور المحققين مثل أبي عبيدة وابن جني والزجاج والزمخشري[4].

وقـال الشنقيطي (أكثر العلماء أن الرحمن أشد مبالغة من الرحيم لأن (الرحمن) هو ذو الرحمة الشـاملة لجميع الخلائق في الدنيا ، وللمؤمنين في الآخرة ، (والرحيم) ذو الرحمة للمؤمنين يوم القيامة [5] .وبهذا تعلم أن الاتفاق الذي نقله ابن جرير فيه نظر ، وانظر ما يأتي بعد .

وقـال أبو عبيدة[6]والجوهري ، ونسب إلى قطرب ومال إليه الزجاج[7]ومشى عليه الجلال في تفسيره ، وتبعه الصبان [8]أنهما بمعنى واحد وأن الرحيم تأكيد للرحمن .

---

(1)الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (1 : 55) .

(2)انظر النسفي ، تفسير النسفي (1 : 5) .

(3)الزجاج ، معاني القرآن (1 : 41) .

(4)ابن عاشور : الطاهر ، التحرير والتنوير (1 : 17) وانظر الزمخشري ، الكشاف (1 : 41) .

(5)الشنقيطي : محمد الأمين ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، ط2 ، 1400 ـ 1979 .

(6)انظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (1 : 74)

(7)ابن عاشور ، التحرير والتنوير (1 : 172) وانظر القرطبي (1 : 74) .

(8)انظـر رضـا : محمد رشيد ، تفسير المنار (1 : 46) دار المنار ـ مصر ، ط4 ، 1373هـ . وقد قال الجـلال المحـلي : محمد بن أحمد في تفسير الجلالين (ص2) (الرحمن الرحيم : أي ذي الرحمة وهي إرادة الخير

قـــال الجوهري (الرحمن الرحيم : إسمان مشتقان من الرحمة ، ونظيرهما في اللغة : نديم وندمان وهما بمعنى ، ويجوز تكرير الإسمين إذا اختلف اشتقاقهما على جهة التوكيد ، كما يقال : فلان جاد مجد ، إلا أن الرحمن إسم مختص لله تعالى لا يجوز أن يسمى به غيره) [1].

قـــال ابن عاشور (وهو وجه ضعيف إذ التوكيد خلاف الأصل ، والتأسيس خير من التأكيد ، والمقام هنا بعيد عن مقتضى التوكيد) [2].

واســـتغرب هذا الرأي محمد عبده واستنكره فقال (ومشى الجلال في تفسيره ، وتبعه الصبان ، على أن الرحمن الرحيم بمعنى واحد ، وان الثاني تأكيد للأول ، ومن العجيب أن يصدر مثل هذا القول عن عالم مسلم ، وما هي إلا غفلة نسأل الله أن يسامح صاحبها .

وأنـــا لا أجيز لمسلم أن يقول في نفسه أو بلسانه أن في القرآن كلمة تغاير أخرى ثم تأتي لمجرد تأكيد غيرها بدون أن يكون لها في نفسها معنى تستقل به .

نعـــم قد يكون في معنى الكلمة ما يزيد معنى الأخرى تقريراً أو إيضاحاً ، ولكن الذي لا أجيزه هو أن يكون معنى الكلمة هو عين معنى الأخرى بدون زيادة ، ثم يؤتى بها لمجرد التأكيد لا غير بحيث تكون من قبيل ما يسمى بالمترادف في عرف أهل اللغة) [3] أ.هـــ . قال الإمام حسن البنا (هذا ـــ أي أن الثاني تأكيد للأول ـــ رأي الجلال والصبان وبعض المفسرين وهو ضعيف [4] .

لأهله) قـــال البغوي : منهم من قال هما معنى واحد مثل ندمان ونديم ومعناهما ذو الرحمة ، وذكر أحدهما بعد الآخر تطميعاً لقلوب الراغبين أ.هـــ معالم التنزيل (1 : 25) .

(1)الجوهري ، الصحاح (5 : 1929 مادة رحم) .

(2)ابن عاشور ، التحرير والتنوير (1 : 172) .

(3)رضا : محمد رشيد ، تفسير المنار (1 : 46) .

(4)حسن البنا ، مقاصد القرآن الكريم (ص43) .

وقد قيل إن الرحيم أشد مبالغة من الرحمن لأنه أكده به ، قال ابن كثير (زعم بعضهم أن الرحيم أشد مبالغة من الرحمن لأنه أكد به ، والمؤكِد لا يكون إلا أقوى من المؤكَد[1] والجواب أن هذا ليس من باب التأكيد وإنما هو من باب النعت) [2].

ثم إن العلماء القائلين بأن صفة الرحمن أشد مبالغة من الرحيم في إفادة الرحمة ـــ وهم الجمهور ـــ قد اختلفوا في دلالة كل منهما :

1 ـــ فقال قوم إن معنى الرحمن : المنعم بجلائل النعم ، ومعنى الرحيم : المنعم بدقائقها ، وعزاه الإمام محمد عبده والإمام حسن البنا للجمهور[3] .

قلت : ذكره صحيح من حيث المعنى وإلا فإن الله كبير عظيم يطلب منه الأمور العظيمة واليسيرة وهو العظيم الكبير المتعال .

قال الإمام حسن البنا (جمهور المفسرين على أن معنى الرحمن المنعم بجلائل النعم ومعنى الرحيم المنعم بدقائقها وهو توجيه لا دليل عليه) [4].

قال أبو السعود (وتقديم الرحمن مع كون القياس تأخيره رعاية لأسلوب الترقي إلى الأعلى لأنه باختصاصه به عز وجل صار حقيقاً بأن يكون قريناً للإسم الجليل الخاص به تعالى ، ولأن ما يدل على جلائل النعم وعظائمها وأصولها أحق بالتقديم مما يدل على دقائقها وفروعها) [5].

---

(1)يقال عالم نحرير ، وشجاع باسل ، وجواد فياض ، وخطيب مصقع ، وشاعر مفلق ، انظر الكشاف للزمخشري (1 : 45) والتحرير والتنوير (1 : 172) .

(2)ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (1 : 21) .

(3)تفسير المنار (1 : 47) ومقاصد القرآن الكريم (ص43) قال الرازي : فإن قيل الرحمن أعظم فلم ذكر الأدنى بعد ذكر الأعلى ، والجواب : لأن الكبير العظيم لا يطلب منه الشيء الحقير اليسير ، كأنه تعالى يقول : لو اقتصرت على ذكر الرحمن لاحتشمت عني ولتعذر عليك سؤال الأمور اليسيرة ، ولكن كما علمتني رحمانـاً تطلب مني الأمور العظيمة فأنا أيضاً رحيم فاطلب مني شراك نعلك وملح قدرك أ.هـ التفسير الكبير (1 : 238).

(4)حسن البنا ، مقاصد القرآن الكريم (ص43) دار الشهاب ، 1399 ـــ 1979 .

(5)أبو السعود ، إرشاد العقل السليم (1 : 15) .

2 ـــ ذهـــب قوم إلى أن معنى الرحمن يعم جميع الخلق كما روى ابن جرير عن العزرمي قال : الـــرحمن بجميع الخلق ـــ زاد القرطبي : في الأمطار ونعم الحواس والنعم العامة ـــ والرحيم قال بالمؤمنين ، زاد القرطبي في الهداية لهم واللطف بهم [1].

قـــال الخطابي : فالرحمن : ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم ومصالحهم وعمت المؤمن والكافر ، والرحيم خاص للمؤمنين ، قال عز وجل (وكان بالمؤمنين رحيماً) [2]والرحيم : الراحم[3].

وروى ابـــن جريـــر بسنده عن ابـــن مسعود وأبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وســـلم قـــال إن عيســـى ابـــن مريم قال : الرحمن : رحمن الاخرة والدنيا ، والرحيم : رحيم الآخرة[4].

قـــال ابـــن كثير (قالوا ولهذا قال : ثم استوى على العرش الرحمن) [5]وقال (الرحمن على العرش اســـتوى) [6]فذكـــر الإستواء باسمه الرحمن ليعم جميع خلقه برحمته ، وقـــال (وكان بالمؤمنين

---

(1)انظـــر الطبري ، جامع البيان (1 : 55) والقرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (1 : 74) وإسناد ابن جرير حسن .

(2)سورة الأحزاب (43) .

(3)ابـــن الجـــوزي ، زاد المسير (1 : 7 ، 8) وقوله (الرحيم : الراحم) قال ابن عطية : عبد الحق بن غالب (فعيل أبلغ من فاعل لأن راحماً يقال لمن رحم ولو مرة واحدة ، ورحيماً يقال لمن كثر منه ذلك ، والرحمن : الـــنهاية في الـــرحمة) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1 : 63) دار الكتب العلمية ـــ بيروت ، 1413 ـــ 1993 .

(4)الطـــبري : جامع البيان (1 : 56) وهو منقطع بين ابن أبي مليكة وابن مسعود كما أن في إسناده إلى أبي سعيد الخدري عطية بن سعد العوفي قال فيه الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب (2 : 24) (صدوق يخطيء كثيراً) فالإسناد على هذا ضعيف .

(5)سورة الفرقان (59) .

(6)سورة طه (5) .

رحيماً) [1]فخصهم باسمه الرحيم ، قالوا فدل على أن الرحمن أشد مبالغة في الرحمة لعمومها في الدارين لجميع خلقه والرحيم خاصة بالمؤمنين[2].

قلـــت : قوله : لعمومها في الدارين لجميع خلقه تبع فيه ابن جرير الطبري حيث بين أن رحمته سبحانه لجميع الخلق في الآخرة هو تسويته بين جميعهم في عدله وقضائه فلا يظلم أحداً منهم ، ورحمـــته للمؤمنين في الدنيا بتوفيقهم لطاعته وفي الآخرة بما خصهم به من النعيم المقيم والفوز العظيم [3].

وقد تقدم ما حكاه الشنقيطي عن أكثر العلماء أن صفة الرحمن تعني أنه ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائـــق في الدنيا وللمؤمنين في الآخرة ، وخالفهم بأن وصف الرحيم يختص بالمؤمنين لكن في الدنـــيا والآخرة : في الدنيا بتوفيقهم لطاعته وفي الآخرة بإدخالهم جنته وإن كانت الأولى سبباً للثانية [4].

وعلى هذا وافق الشنقيطي ابن جرير وابن كثير في أن الرحيم مختص بالمؤمنين في الدنيا والآخرة وخالفهما في أن الرحمن وإن كانت تعم جميع الخلق في الدنيا إلا أنها تختص بالمؤمنين يوم القيامة ،بينما ذهبا إلى انها تعم جميع الخلق يوم القيامة بالتسوية بينهم في العدل والقضاء.

3 ـــ وروى ابـــن جرير بسنده عن ابن عباس ان الرحمن بمعنى الرقيق والرحيم بمعنى الرفيق بمن أحب أن يرحمه[5].

قـــال الخطـــابي : وهذا مشكل لأن الرقة لا مدخل لها في شيء من صفات الله تعالى ، وقـــال الحسين بن الفضل البجلي : هذا وهم من الراوي لأن الرقة ليست من صفات الله تعالى في شيء وإنما هما إسمان رفيقان أحدهما أرفق من الآخر ، والرفق من صفات الله تعالى[6].

---

(1)سورة الأحزاب (43) .

(2)ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (1 : 20 ، 21) .

(3)الطبري : جامع البيان (1 : 56) بتصرف .

(4)الشنقيطي ، أضواء البيان (1 : 34) .

(5)ابـــن جريـــر ، جامع البيان (1 : 57) وفي إسناده بشر بن عمارة الخثعمي وهو ضعيف كما في تقريب التهذيب (1 : 24) .

(6)القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (1 : 75) .

4 ــ ذهب الإمام محمد عبده إلى أنه سبحانه قرن بين صفتيه (الرحمن الرحيم) لا لما تقدم من أن (الرحمن) المنعم بجلائل النعم (والرحيم) المنعم بدقائقها ، ولا لأن معنى (الرحمن) هو المنعم بنعم عامة تشمل الكافرين مع غيرهم ، وأن معنى (الرحيم) المنعم بالنعم الخاصة بالمؤمنين ، قال : كل هذا تحكم في اللغة مبني على أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ، نعم صفة الرحمن تدل على كثرة الإحسان الذي يعطيه جليلاً كان أو دقيقاً ولا تدل على أن كل فرد من أفراد الإحسان أعظم من أفراد الإحسان التي يدل عليها لفظ الرحيم .

وقرر الأستاذ الإمام إلى أن (الرحمن) صفة فعل تدل على من تصدر عنه آثار الرحمة بالفعل وهي إفاضته الإحسان والنعم إذ صيغة فعلان تدل على وصف فعلي فيه معنى المبالغة كغضبان ، وهو في استعمال اللغة للصفات العارضة كعطشان وغضبان ، ولفظ (الرحيم) صفة ذات تدل على منشأ هذه الرحمة والإحسان ، وعلى أنها من الصفات الثابتة الواجبة إذ صيغة فعيل تدل على المعاني الثابتة كالأخلاق والسجايا في الناس كعليم ، وحكيم ، وحليم ، فإذا سمع العربي وصف الله تعالى بالرحمن فهم منه أنه المفيض للنعم فعلاً لكن النعمة قد تنقطع وإن كانت كثيرة ، فعندما يسمع لفظ الرحيم يكمل اعتقاده على الوجه الذي يليق به ويرضيه سبحانه ، من أن الرحمة صفة ثابتة لله وهي على غير صفات المخلوقين[1].

وقد عكس الإمام ابن القيم فجعل (الرحمن) صفة ذات دالة على صفة الرحمة القائمة به تعالى ، و (الرحيم) صفة فعل دالة على تعلقها بالمرحوم فقال (صفات الإحسان والجود والبر والحنان والمنة والرأفة واللطف أخص باسم (الرحمن) وكرر ــ أي بذكر (الرحيم) ــ إيذاناً بثبوت الوصف وحصول أثره وتعلقه بمتعلقاته ، فالرحمن : الذي الرحمة وصفه ، والرحيم : الراحم لعباده ، ولهذا يقول تعالى (وكان بالمؤمنين رحيماً) (إنه بهم رؤوف رحيم) ولم يجيء رحمن بعباده ولا رحمن بالمؤمنين ، مع ما في إسم الرحمن الذي هو على وزن فعلان من سعة هذا

(1)محمد رشيد رضا ، تفسير المنار (1 : 47 ــ 49) بتصرف .

الوصف وثبوت جميع معناه الموصوف به ، فعلم أن رحمن الموصوف بالرحمة ورحيم هو الراحم برحمته ، وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب[1].

قال محمد رشيد رضا وهو قوي ، والأمثلة تؤيد ما قاله الأستاذ الإمام من أن صيغة فعلان تدل على الصفة العارضة ولا تدل على الصفة الثابتة الدائمة وهي صيغة فعيل فهذا أقوى ما قيل في نكتة الجمع بين الإسمين الكريمين بالصيغتين[2].

يريد بالأمثلة أنه يقال غضبان للممتليء غضباً ، وندمان ، وحيران ، وسكران ، ولهفان لمن مليء بذلك .

قال الإمام حسن البنا رحمه الله (ما ذهب إليه ابن القيم والشيخ محمد عبده رحمهما الله ، هو الذي تستريح إليه النفس [3].

والذي أراه بالإضافة لما تقدم عن ابن القيم والشيخ محمد عبده من أحد الصفتين صفة ذات والأخرى صفة فعل أن هاتين الصفتين كليهما تفيدان أيضاً أنه سبحانه ذو الرحمة الواسعة لجميع الخلق في الدنيا ، وللمؤمنين في الآخرة ، فالله رحمن رحيم بجميع الناس ــ مؤمنهم وكافرهم في الدنيا ــ ورحمن رحيم بالمؤمنين في الآخرة .

ومن الصفات الدالة على أن وصف (الرحيم) يدل على رحمة جميع الناس في الدنيا ، قوله تعالى (وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم) [4].

وقوله تعالى (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم) [5]وقوله (أو يأخذكم على تخوف فإن ربكم لرؤوف رحيم) [6]وقوله (إن الله بالناس لرؤوف رحيم) [1]وقوله (ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيماً) [2].

---

(1)ابن القيم : محمد بن أبي بكر ، مدارج السالكين (1 : 33) دار الكتاب العربي ــ بيروت ، 1392 ــ 1972 ، وبدائع الفوائد ، دار الكتاب العربي ــ بيروت .

(2)محمد رشيد رضا ، تفسير المنار (1 : 47 ــ 49) بتصرف .

(3)حسن البنا ، مقاصد القرآن الكريم (ص44) .

(4)سورة النحل (7) .

(5)سورة النحل (18) .

(6)سورة النحل (47) .

وأنـــت ترى أن هذه الآيات في تعداد النعم على الخلق جميعاً ـــ مؤمنهم وكافرهم ـــ وليست خاصة بالمؤمنين في الآخرة كما ذهب إليه أكثر العلماء فيما نقل عنهم العلامة الشنقيطي ، ولا بهم في الدنيا والآخرة كما ذهب إليه ابن جرير وابن كثير والشنقيطي ، والعلم عند الله تعالى .

وفي الدعاء الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه (رحمن الدنيا والاخرة ورحيمهما) [3] وهو لو ثبت لكان نصاً في الموضوع إلا أن عدم ثبوته لا تنفي صحة معناه .

وأمـــا مـــا ذهب إليه ابـــن جرير وتبعه عليه ابـــن كثير ـــ من أن صفة الرحمن تشمل رحمة جميـــع الخلق في الآخرة إضافة إلى رحمتهم في الدنيا ، أمّا في الدنيا فبالإحسان إلى جميعهم بشتى الـــنعم ، وأما في الآخرة ففي تسويته بين جميعهم في عدله وقضائه وعدم ظلمه لأحدهم ـــ فهو مســـلّم لهـــم في رحمة الجميع في الدنيا ، وأما تسويته بين جميعهم في العدل والقضاء فهو داخل تحت العدل لا تحت الرحمة كما قال تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شـــيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) [4] إلى غير ذلك من الآيات وأما أخذ الكفار بذنوبهم وإيقاع أشد العقوبة بهم جزاءً وفاقاً لما اقترفته أيديهم واكتسبته قلوبهم مـــن الكفـــر والإثم فلا يقـــال له رحمة بل هـــو عدل محض ، نعم ترك عقوبة من يستحق ،

---

(1)سورة الحج (65) .

(2)سورة الإسراء (66) ..

(3)رواه الحـــاكم : محمـــد بن عبد الله النيسابوري في المستدرك على الصحيحين (1 : 515) دار المعرفة ـــ بـــيروت ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، كذا قال وفي إسناده الحكم بن عبد الله بن سعد الأيلي ، قال النســـائي والدارقطني : متروك ، وقال البخاري : كان ابن المبارك يضعفه ، انظر الضعفاء والمتروكون للنسائي (ص79) والضـــعفاء والمتروكون للدارقطني (ص298) والضعفاء الصغير للبخاري (ص423) ضمن المجموع في الضعفاء والمتروكين ، دار القلم ـــ بيروت، ط1، 1405 ـــ 1985 .

وقـــال ابـــن حبان : محمد ، في كتاب المجروحين (1 : 248) (يروي الموضوعات عن الأثبات ، وكان ابن المـــبارك شديد الحمل عليه) دار الوعي ـــ حلب ، ط2 ، 1402 ، وقال ابن معين : يحيى (ضعيف ليس بثقة) التاريخ (2 : 124) مركز البحث العلمي ـــ مكة المكرمة ، تحقيق أحمد محمد نور سيف .

(4)سورة الأنبياء (47) .

وإسداء الخير إلى من لا يستحق يدخل في الرحمة [1] ولا يحصل شيء منهما للكفار في الآخرة ، وإنما تتمحض رحمة الله للمؤمنين في الآخرة عفواً عنهم ورفعة لدرجاتهم وإدخالهم الجنة بغير حساب ، ونظرهم له سبحانه وتعالى ، أو في إخراج عصاة الموحدين من النار أو غير ذلك مما يرحم الله به عباده المؤمنين وأوليائه السابقين سلكنا الله في عدادهم إنه بر جواد رحمن رحيم .

وقد جاء في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لن يدخل أحداً منكم عملُه الجنة ، قالوا ولا أنت يا رسول الله ، قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة) [2].

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن لله مائة رحمة ، أنزل منها رحمة واحدة ، بين الجن والإنس والبهائم والهوام ، فيها يتعاطفون وبها يتراحمون ، وبها تعطف الوحش على ولدها ، وأخر الله تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة) [3].

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة ، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض ، فجعل منها في الأرض رحمة ، فبها تعطف الوالدة على ولدها ، والوحش والطير بعضها على بعض ، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة) [4].

فهذا يدل أن المائة رحمة يرحم الله بها عباده يوم القيامة ، وما ذلك إلا للمؤمنين الموحدين ، والعلم عند الله تعالى .

---

(1)انظر البغوي ، معالم التنزيل (1 : 25).

(2)رواه البخاري في صحيحه بشرحه فتح الباري (10 : 127 كتاب المرضى باب تمني المريض الموت) ومسلم (4 : 217 كتاب صفات المنافقين باب لن يدخل أحد الجنة بعمله) .

(3)رواه البخاري (10 : 431 كتاب الأدب باب جعل الله الرحمة في مائة جزء) ومسلم (4 : 2108 كتاب التوبة باب سعة رحمة الله) واللفظ له .

(4)رواه مسلم (4 : 2109 كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى) .

بقي أن أشير إلى أن أكثر العلماء على أن إسم (الرحمن) مختص بالله عز وجل لا يجوز أن يسمى به غيره[1].

قال الجوهري : ألا ترى أنه تبارك وتعالى قال (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) [2]فعادل به الإسم الـــذي لا يشـــركه فيه غيره[3]، وقال (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) [4]فأخبر أن الرحمن هو المستحق للعبادة[5].

وقـــــد جـــاء عن عطاء الخراساني أن الرحمن كان خاصاً بالله لم يتسم به أحد من خلقه حتى تجاســـر مســـيلمة الكذاب ـــ لعنه الله ـــ فتسمى به ، فأخبر الله أن اسمه (الرحمن الرحيم) فلا يتســـمى بهما معاً أحد من خلقه ، وألزم الله مسيلمة نعت الكذاب وصار له هذا الوصف علماً يعرف به[6].

قال الزمخشري (وهو ـــ أي الرحمن ـــ من الصفات الغالبة ، لم يستعمل في غير الله عز وجل ، وأما قول بني حنيفة في مسيلمة : رحمن اليمامة ، فباب من تعنتهم في كفرهم) [7].

قـــال ابن عطية تعليقاً على قول عطاء (وهو ضعيف لأن (بسم الله الرحمن الرحيم) كان قبل أن ينجم أمر مسيلمة ، وأيضاً فتسمي مسيلمة بهذا لم يكن مما تأصل وثبت) [8].

وقد قيل في إسم الرحمن فيما ذكر ابن العربي أنه إسم الله الأعظم[9].

ومـــن غرائب التفسير ما ذكره القرطبي عن المهدوي قال (الرحيم) أي بالرحيم وصلتم إلى الله وإلى الرحمن ، فالرحيم : نعت محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد نعته تعالى بذلك فقال (رؤوف

---

(1)انظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (1 : 75)

(2)الإسراء (110) .

(3)الجوهري ، الصحاح (5 : 1929 مادة رحم).

(4)الزخرف (45) .

(5)انظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (1 : 75).

(6)انظر الطبري ، جامع البيان (1 : 57) وابن كثير (1 : 21) .

(7)الزمخشري ، الكشاف (1 : 42) .

(8)ابن عطية ، المحرر الوجيز (1 : 64) .

(9)انظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (1 : 75) .

رحيم) [1] فكأن المعنى أن يقول (بسم الله الرحمن وبالرحيم) أي بالرحيم وصلتم إلي : أي باتباعه وبما جاء به وصلتم إلى ثوابي وكرامتي والنظر إلى وجهي[2]، والله اعلم .

وأغرب منه ما أغرب فيه الأستاذ محمد عبده فقال (قول النصارى في ابتداء شئونهم باسم الأب والإبن والروح القدس ، وهو في زعمهم ثلاثة مختلفة الآحاد ، مع أنها واحد ، فأراد الله ان يجعل للمسلمين فاتحة أعمال تحتوي على ثلاثة معان ، الأولى ذات والآخران صفتان ، فلفظ الجلالة هو الذات ، وهو يقابل الأب عندهم ، والرحمن وصف الفعل المتجدد الصادر من فيض الكرم وهذا يقابل الإبن لزعمهم أنه مشتق من الذات ، والرحيم يدل على الصفة الثابتة للذات الأقدس، وهي التي يرجع إليها الفعل المتجدد وباعتبارها يصدر ويتجدد ، وهو يقابل عندهم روح القدس ، فإنه عندهم الصلة بين الأب والإبن ، وإن حاولوا ستر ذلك بضروب من العبارات .

فأراد الكتاب أن يعلمنا كيف نضع التوحيد مكان التثليث ، ونستبدل بألفاظ التشبيه خيراً منها من ألفاظ التنزيه ، ولا يفوتنا المعنى الذي يحتج بقصده من الأب والإبن والروح القدس ، وهو معنى الرحمة وإفاضته النعمة ، وهذا هو وجه تكرير هذه الفاتحة الكريمة في كل سورة والندب إلى الإفتتاح بها في كل عمل ذي بال[3].

قال الإمام حسن البنا بعد نقل هذا الكلام (أقول : لو قبل أهل الدين من النصارى هذا التفسير لانحلت أعظم عقدة تباعد بين عقيدتي المسيحية والإسلام) [4] أ.هـ .

أقول : إن أهل الدين من النصارى والقائمين عليه لا يقبلون مثل هذا بل هم متعصبون لشعائر عقيدتهم مع علم بعضهم ببطلانها.

---

(1)سورة التوبة (128) .

(2)انظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (1 : 75) .

(3)حسن البنا ، مقاصد القرآن الكريم (ص42 ، 43) .

(4)حسن البنا ، مقاصد القرآن الكريم (ص42 ، 43) .

وهب أنهم قبلوه فما موقفهم من عقائدهم الباطلة الأخرى كالصلب والفداء والخطيئة المنتقلة من آدم إلى بنيه ، وما موقفهم من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واتباع شريعته وما جاء به مع معرفتهم له كما يعرفون أبناءهم .

ثم هـــل نسلك هذا المسلك في تأويل النصوص وحملها مع كل أفاك أثيم أو زنديق مفتر أو مع المغضوب عليهم أو الضالين الذين ضلوا وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل .

إن ســـبيل الهداية بين وواضح ومعروف ودلائله ظاهرة وآياته باهرة فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، ومن كفر فقد أعدت له نار تحيط به سرادقها تشوي الوجوه مع احتمال وقوع بأس الله عليه في الدنيا ، واتباع سبيل القرآن فيه الرشد والهداية والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم .

ونحن نرفض قول الشيخ محمد عبده في هذه القضية ، كما نعجب من موافقة الإمام حسن البنا له فيها

المبحث الثاني

أهمية البسملة وفوائدها

أولاً : البسملة إعلان للتوحيد :

فقـــد كان العالم قبل نزول القرآن قد شاع فيه الكفر وعبادة الأوثان ، فاليهود كما وصفهم القرآن قد أغرقوا في الكفر وقالـــوا عزير ابـــن الله ووصفوا الله بأوصاف لا تليق به وأغرقوا في عبادة المادة ، والنصـــرانية بعـــد انحرافها قـــامت على التثليث وأصبحت على تعاقـــب العصـــور ديانـــة وثنية ، والمجـــوس قامت ديانتهم على عبادة النار وتقديسها ، والصين والهند قامت الديانات والمذاهب المتعددة فيها على الوثنية ، وأما العرب فعبادتهم للأصنام ظاهرة مشتهرة[1] .

فجاء القرآن ينفي هذا التعدد وتلك الوثنية ، ويبتدي بسم الله لا باسم غيره ، لذا كانت التسمية إقراراً بالألوهية وعبادة لله وفيها إظهار مخالفة المشركين الذين يفتتحون أمورهم بذكر الأصنام أو غيرها من

---

(1)انظـــر الندوي : أبو الحسن علي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (ص37 ــ 64) ط10 ، 1394 ــ 1974 .

المخلوقـــين الذين كانوا يعبدونهم [1] لأنها لما أفادت نسبة الأمور كلها إليه سبحانه وحده أفادت أنه الإله وحده[2].

ثانياً : البسملة قاعدة حضارة وركيزة يقوم عليها التقدم العلمي :

فقد جعل الله قاعدة الثقافة والتعلم والقراءة البدء باسمه والإرتباط به فقال (اقرا باسم ربك الذي خلق) إلى قوله (ما لم يعلم) [3] لأن العلم سواء أكان دينياً أو دنيوياً يحتاج إلى ضابط يضبطه من الهـــوى والإنحـــراف والفســـاد ، فكان ارتكازه على اسم الله وخشيته ، والإعتراف بنعمه ، واســـتعمال تلك النعم في طاعته هو ذلك الضابط الذي يحرسه فالله سبحانه وتعالى لا يغضب على الناس حين يعلمون أو يتعلمون وإنما يغضب عليهم حين يستغلون علمهم بالضرر والأذى . ولمـــا تحدث القرآن عن علم النبات ، وعلم الجغرافيا ، وعلم الأحياء ، بيّن أن هذه العلوم ينبغي أن ترتـــبط باســـم الله وتقـــوم على خشيته ، فقال سبحانه (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجـــنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود،ومن الناس والدواب والنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء) [4].

---

(1)انظر الجصاص ، أحكام القرآن (1 : 18) والكياالهراس ، أحكام القرآن (1 : 24) ، وقال الشهيد سيد قطـــب رحمه الله (وبهذا المقطع الواحد الذي نزل في اللحظة الأولى ـــ يعني قوله تعالى (اقرأ باسم ربك) ـــ وضعت قاعدة التصور الإيماني العريضة كل أمر ، كل حركة ، كل خطوة ، كل عمل ، باسم الله ، وعلى اسم الله ، باسم الله تبدأ ، وباسم الله تسير ، وإلى الله تتجه وإليه المصير) في ظلال القرآن (8 : 618) دار إحياء التراث العربي ـــ بيروت ، ط7 ، 1371 ـــ 1971 .

(2)الـــبقاعي : إبراهـــيم بن عمر ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (1 : 13) دار الكتب العلمية ـــ بيروت ، 1415 ـــ 1995 .

(3)الآيات (1 ـــ 5) من سورة العلق .

يقـــول الشهيد سيد قطب (تبدأ السورة باسم الله ، وتبرز مصدر التعليم ، ان مصدره هو الله ، منه يستمد الإنسان كل ما علم ، وكل ما يعلم ، وكل ما يفتح له من أسرار هذا الوجود ، ومن أسرار هذه الحياة ، ومن أسرار نفسه ، فهو من هناك ، من ذلك المصدر الواحد الذي ليس هناك سواه) في ظلال القرآن (8 : 618) .

(4)سورة فاطر (27 ، 28).

وتـــأكد هذا المعنى بأن كانت البسملة فاتحة هـــذا الكتاب العزيز لتذكر الناس أن حضارتهم يجب أن تكون مرتبطة بالله مستعينة به .

ثالثاً : البسملة منهج حياة ونفي للعلمنة :

وذلك أن الشرع ندب إلى البدء بها قبل كـــل عمل[1]، فإذا ارتكز كل ما في الحياة على البداءة ببسم الله استعانة به وتبركاً باسمه[2] كانت العلمانية التي تدعو إلى عدم تدخل الدين في الحياة منفية بذلك إذ ما من أمر جل أو صغر إلا ويرتكز على اسم الله ويبتديء به ليرتبط المسلم بالله ويتذكره ويستعين به في كـــل وقـــت وحين ، في الأكل والشرب والدخـــول والخروج وعند الخلاء وعند الوضوء وعلى الذبيحة وعند الجماع حتى أضحت شعاراً وعلماً من أعلام الدين[3].

رابعاً : البسملة طرد للشيطان وإذلال له وعياذة بالله منه :

عـــن أبي تميمة الهجيمي [4]عمن كـــان رديف النبي صلى الله عليه وسلم[5] قال : عثر بالنبي صلى الله علـــيه وســـلم ، فقلـــت : تعـــس الشيطـــان ، فقـــال النبي صلى الله عليه وسلم (لا تقـــل تعس الشيطـــان ، فإنـــك إذا قلت تعس الشيطان ، تعاظم حتى يصير مثل الجبل[6]، وقال بقوتي صرعته ، وإذا قلت بسم الله تصاغر حتى يصير مثل الذباب) [7].

---

(1)قـــال الـــرازي (أجمـــع العلماء على أنه يستحب أن لا يشرع في عمل من الأعمال إلا ويقول (بسم الله) التفسير الكبير (1 : 214) .

(2)انظر (ص3) .

(3)الجصاص ، أحكام القرآن (1 : 17) والكياالهراس (1 : 24) .

(4)هـــــو طريف بـــن مجالد ، ثقـــة من الثالثة ، ابن حجر : أحمد بن علي ، تقريب التهذيب (1 : 378) دار المعرفة ــ بيروت ، 1375 ــ 1975 .

(5)هو الصحابي أسامة بن عمير كما سيتبين من التخريج بعد قليل .

(6)في بعض الروايات : حتى يصير مثل البيت ، وفي بعضها تعاظم في نفسه.

(7)حســـرواه الصـــنعاني : عـــبد الـــرزاق بـــن همام فـــي كتاب الجامع (11 : 424) الملحق بالمصنف ، منشـــورات المجلـــس العـــلمي ، تحقيق حبيـــب الرحمن الأعظمي ، وابـــن حنبل : أحمد بـــن محمـــد فـــي المســـنـــد (5 : 59 ، 71 ، 365) دار الفكـــر ــ بيروت ، والنسائي : أحمد بـــن شعيب فـــي عمـــل اليـــوم والليلة (ص373) مؤسسة الرسالة ــ بيروت ، ط2 ، 1406 ــ 1985 ، تحقيق د. فاروق حمادة ، والحـــاكم : محمد بـــن عبـــد الله النيسابـــوري فـــي المستدرك على الصحيحين (4 : 292) دار المعرفة ــ

وعـــن عـــلي رضـــي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم إذا دخل أحدهم الخلاء أن يقول بسم الله) [1].

بيروت والبيهقي فـــي شعـــب الإيمان (4 : 301 ، 302) دار الكتب العلمية ـــ بيروت ، ط1 ، 1410 ـــ 1990 ، والضياء المقدسي : محمد بـــن عبد الواحد في الأحاديث الصحيحة المختارة (4 : 198) مكتبة النهضة الحديثة ـــ مكة المكرمة ، ط1 ، 1410 ، تحقيق عبد الملك بن عبد الله .

ورواه السجســـتاني : أبـــو داود سليمان بن الأشعث في سننه مع شرحها عون المعبود (13 : 327 كتاب الأدب بـــاب بعد بابين من باب لا يقال خبثت نفسي) المكتبة السلفية ـــ المدينة المنورة ، ط2 ، 1388 ـــ 1968 ، تحقـــيق عـــبد الرحمن محمد عثمان ، عن أبي تميمة عن أبي المليح عن رجل قال : كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه ، ورواه النسائي في عمل اليوم والليلة (ص374) عن أبي تميمة عن أبي المليح قال كان رجل رديف النبي صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه .

ورواه الطـــبراني : ســـليمان بـــن أحمد فـــي المعجم الكبير (1 : 194) الدار العربية ـــ بغداد ، 1978 ، تحقيق حمدي السلفي ، والحاكم (4 : 292) والضياء في الأحاديث المختارة (4 : 196 ، 197) من طريق أبي تميمة عن أبي المليح بن أسامة بن عمير عن أبيه قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه .

وقال الحاكم : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، وقال الضياء : إسناده صحيح ، وقال الهيثمي : نور الدين علي بـــن أبي بكـــر : رواه أحمد بأسانيد رجالها كلها رجال الصحيح ، ورواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمـــد بـــن حمران وهو ثقة أ.هـــ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (10 : 135) مؤسسة المعارف ـــ بيروت ، 1406 ـــ 1986 .

(1)رواه الترمذي في سننه (2 : 503 ، 504 كتاب الصلاة باب ما ذكر من التسمية عند دخول الخلاء) وابن ماجة (1 : 109 كـــتاب الطهارة باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء) وقال الترمذي : حديث غريب وإسناده ليس بـــذاك القوي ، قال شاكر : أحمد محمد : ونحن نخالف الترمذي في هذا ونذهب إلى أنه حديث حسن إن لم يكن صحيحاً أ.هـــ شرح سنن الترمذي (2 : 504) دار إحياء التراث العربي ـــ بيروت .

وقـــــال مغلطاي : جميع من في سنده غير مطعون عليهم بوجه من الوجوه ، بل لو قال قائل إسناده صحيح لكان مصيباً .أ.هـــ ذكره المناوي : محمد عبد الرؤوف وصححه هو أيضاً ، فيض القدير شرح الجامع الصغير (4 : 96 ، 97) دار الفكر ـــ بيروت .

وـــله شاهد من حديث أنس أخرجه الطبراني في الأوسط بلفظ (ستر ما بين أعين الجن وعـــورات بني آدم إذا وضـــعوا ثـــيابهم أن يقـــولوا بسم الله) كذا في مجمع البحرين في زوائد المعجمين (1 : 29) مكتبة الرشد ـــ

خامساً : البسملة وقاية من الآفات بإذن الله :

عن أبان بن عثمان بن عفان قال : سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فيضره شيء) .

وكان أبان قد أصابه طرف من الفالج ، فجعل الرجل ينظر إليه ، فقال له أبان ما تنظر ؟ أما إن الحديث كما حدثتك ولكني لم أقله يومئذ ليمضي الله قدره[1].

وفي رواية أبي داود (من قال : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات[2] لم تصبه فجاءة بلاء حتى يصبح ، ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات لم تصبه فجاءة بلاء حتى يمسي ، قال : فأصاب أبان ابن عثمان الفالج ، فجعل الرجل الذي سمع منه الحديث ينظر إليه ، فقال له : مالك تنظر إلي ؟ فوالله ما كذبت على عثمان ولا كذب عثمان على النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن اليوم الذي أصابني غضبت فنسيت أن أقولها [3].

سادساً : البسملة شفاء من الأسقام والأوجاع بإذن الله :

عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أنه شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعاً يجده في جسده منذ أسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (ضع يدك على الذي يألم من جسدك ، وقل بسم الله ثلاثاً ، وقل سبع مرات : أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر) وفي بعض الروايات أعوذ بعزة الله وقدرته[4].

الرياض ، وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط بإسنادين أحدهما فيه سعيد بن مسلمة الأموي ضعفه البخاري وغيره ، ووثقه ابن حبان وابن عدي وبقية رجاله موثوقون أ.هـ مجمع الزوائد (1 : 210) .

(1)رواه الترمذي (5 : 564 كتاب الدعوات باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى) وابن ماجة (2 : 1273 كتاب الدعاء باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب .

(2)أي من قال ذلك حين يمسي كما هو واضح من السياق .

(3)سنن أبي داود مع شرحها عون المعبود (13 : 431 كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح) .

(4)رواه مسلم (4 : 2202 كتاب السلام باب استحباب وضع يده على موضع الألم) وابن ماجة (2 : 1163 ، 1164 كتاب الطب باب ما عوذ به النبي صلى الله عليه وسلم) والنسائي في عمل اليوم والليلة

فـــوائـــد

الفائدة الأولى :

أورد الغـــافقي مـــا جاء في البسملة من الأحاديث والآثار ومعظمه ضعيف جـــداً ، وكثير منه موضوع لا يلتفت إليه ولا يعول عليه[1].

الفائدة الثانية :

قـــال البقاعي (وكون البسملة تسعة عشر حرفاً خطية إشارة إلى أنها دوافع النقمة من النار التي أصحابها تسعة عشر) [2].

وقال ابن عطية (والبسملة تسعة عشر حرفاً ، فقال بعض الناس أن رواية بلغتهم أن ملائكة النار الذيـــن قـــال الله فـــيهم (عليها تسعة عشر) [3]إنما ترتب عددهم على حروف بسم الله الرحمن الرحـــيم لكل حرف ملك ، وهم يقولون في كل أفعالهم بسم الله الرحمن الرحيم ، فمن هنالك هي قوتهم ، وباسم الله استضلعوا .

قـــال : وهذه من ملح التفسير وليس من متين العلم ، وهي نظيرة قولهم في ليلة القدر ، إنها ليلة سبع وعشرين مراعاة للفظة هي في كلمات سورة القدر) [4].

الفائدة الثالثة :

قـــال الـــبقاعي (لما كانت نسبة البسملة من الفاتحة ، نسبة الفاتحة مـــن القرآن ، صدرت بها الفاتحة كما صدر القرآن بالفاتحة ، لأنه لما أفادت نسبة الأمور كلها إليه سبحانه وحده ، أفادت

(ص551) وابـــن حبان : محمد بن أحمد ، صحيح ابن حبان ، ترتيب ابن بلبان : علاء الدين الفارسي (7 : 230 ، 231 ، 233) مؤسسة الرسالة ـــ بيروت، ط2 ، 1414 ـــ 1993،والطبراني في المعجم الكبير (9 : 35) .

(1)انظر الغافقي : محمد بن عبد الواحد ، لحات الأنوار ونفحات الأزهار (1 : 466 ـــ 508) ..

(2)البقاعي ، نظم الدرر (1 : 139 .

(3)سورة المدثر (30) .

(4)ابن عطية ، المحرر الوجيز (1 : 61) ونحوه في تفسير القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (1 : 65) وتفسير ابن كثير (1 : 17) .

أنـــه الإلـــه وحده ، وذلك هو إجمال تفصيل الفاتحة ، كما أن الفاتحة إجمال تفصيل القرآن من الأصول والفروع واللطائف والمعارف[1].

الفائدة الرابعة :

يستحب تصدير الكتب والرسائل ببسم الله الرحمن الرحيم ، وقد صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه إلى هرقل بذلك[2] كما صدر الكتاب الذي كُتب في صلح الحديبية بها فلما اعترض ســـهيل بـــن عمرو بأنه لا يدري ما الرحمن أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يُكتـــب (باسمك اللهم) [3].

قـــال الـــنووي (فيه ـــ أي في حديث الكتابة إلى هرقل ـــ استحباب تصدير الكتاب ببسم الله الرحمن الرحيم وإن كان المبعوث إليه كافراً) [4].

وأفاد ابن حجر أنه جمع كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك وغيرهم فجميعها كانت تبدا بالبسملة [5].

---

(1)البقاعي ، نظم الدرر (1 : 13) ..

(2)انظـــر صـــحيح البخاري بشرحه فتح الباري (1 : 32 كتاب بدء الوحي باب رقم (7)) و (8 : 215 كتاب التفسير باب قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء) وصحيح مسلم (3 : 1396 كتاب الجهاد والسير باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل) .

(3)انظـــر صـــحيح الـــبخاري مع شرحه فتح الباري (5 : 331 كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد) وصحيح مسلم (3 : 1410 ، 1411 كتاب الجهاد والسير باب صلح الحديبية) .

(4)النووي ، شرح النووي على مسلم (12 : 107 ، 108) .

(5)) ابن حجر ، فتح الباري (8 : 220) فإن قلت ، فقد قال صلى الله عليه وسلم (كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم ، وفي رواية فهو أقطع) ، رواه أحمد في المسند (2 : 359) وأبو داود السجستاني في ســـننه مـــع شرحها عون المعبود (13 : 184 كتاب الأدب باب الهدي في الكلام) وابن ماجة (1 : 610 كـــتاب الـــنكاح بـــاب خطبة النكاح) والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص345) وابن حبان في الإحسان (1 : 173) والبيهقي : أحمد بن الحسين في السنن الكـــبرى (2 : 208 ، 209) دار المعرفة ـــ بيروت .

وفي إســـنادهم جميعاً قرة بن عبد الرحمن قال فيه الحافظ ابن حجر (صدوق له مناكير) تقريب التهذيب (2 : 125) .

ويستثنى من ذلك كتب الشعر ودواوينه فقد اختلف في ابتدائها بالبسملة ، فقال الشعبي : أجمعوا الا يكتبوا أمام الشعر بسم الله الرحمن الرحيم ، وقال الزهري : مضت السنة أن لا يكتبوا في الشعر بسم الله الرحمن الرحيم[1] لأنه يشوبه الكذب والهجو غالباً [2] .

وذهب إلى رسم التسمية في أول كتب الشعر ، سعيد بن جبير ، وتابعه على ذلك أكثر المتأخرين ، قال أبو بكر الخطيب وهو الذي نختاره ونستحبه [3] .

الخاتمة ــ نسأل الله حسنها ــ

وأعرض فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث :

أولاً : أجمعت الأمة على أنه تندب التسمية عند الشروع في كل فعل تبركاً واستعانة وهي تختلف عن مجرد الذكر الذي يشرع استقلالاً كالحمدلة والحوقلة .

ثانياً : جمهور المفسرين واللغويين أن الإسم مشتق من السمو وهو العلو والرفعة لأنه يرفع المسمى ويظهره .

وقد حسنه النووي في الأذكار (ص94) وأجاب في شرح مسلم (12 : 108) بأن المراد بالحمد لله : ذكر الله ، قال : وقد جاء في رواية بذكر الله ، وهذا الكتاب ــ أي كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ــ كان ذا بال بل من المهمات العظام ، وبدأ فيه بالبسملة دون الحمد أ.هـ .

قال ابن حجر (روي على أوجه : بذكر الله ، ببسم الله ، بحمد الله) ثم أفاد أن رواية الحمد رواها أبو عوانة وابن حبان وفي إسنادها مقال وما عدا ذلك من الألفاظ فقد وردت في بعض طرق الحديث بأسانيد واهية ، فتح الباري (8 : 220) ، وعلى كلٍ فقد أفاد ابن حجر أن قوله (كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع) وإن كان عاماً لكن أريد به الخصوص ، وهي الأمور التي تحتاج إلى تقدم الخطبة ، وأما المراسلات فلم تجر العادة الشرعية ولا العرفية بابتدائها بالحمد ، وإنما يبدأ فيها بالبسملة تامة ، وبعض الأمور يبدأ فيها ببسم الله فقط ، كما في أول الجماع والذبيحة، وبعضها بلفظ من الذكر مخصوص كالتكبير ، أنظر فتح الباري (8 : 220)

(1)القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (1 : 69) .

(2)ابن مفلح : إبراهيم بن محمد ، المبدع (1 : 435) المكتب الإسلامي ــ بيروت ، 1400 ــ 1980 .

(3)القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (1 : 69) .

ثالـــثاً : جمهور المفسرين على أن لفظ الجلالة الله علم غير مشتق والإجماع على أنه خاص بالله تعالى لم يتسم به غيره .

رابعـــاً : لله أسمـــاء كثيرة جداً ، ولكن من حفظ منها تسعة وتسعين ، متفكراً بمعناها ، عاملاً بمقتضاها ، مقدساً لمسماها ، دخل الجنة .

خامساً : جمهور المفسرين أن اسم الله ، الرحمن ، أشـــد مبالغة من اسمه الرحيم في الدلالة على الرحمة ، وقيل انهما سواء وأن الرحيم جاء تأكيداً للرحمن ، وقيل الرحيم أشد مبالغة من الرحمن ، والأرجح قول الجمهور .

سادســـاً : الـــراجح أن اسمي الرحمن الرحيم يفيدان الرحمة لجميع الخلق في الدنيا وللمؤمنين في الآخرة .

سابعاً : ذهب ابن القيم إلى أن الرحمن صفة ذات تدل على منشأ الرحمة والإحسان ، وأنها من الصـــفات الثابتة وأن الرحيم صفة فعل تدل على من تصدر عنه آثار الرحمة بالفعل وهي إفاضة الإحسان والنعم ، وعكس الإمام محمد عبده فأفاد أن الرحمن صفة فعل والرحيم صفة ذات .

ثامناً : البسملة إعلان للتوحيد ، وقاعدة حضارة ، ومنهج حياة ، ونفي للعلمنة .

تاسعاً : البسملة طرد للشيطان وإذلال له وعياذة بالله منه .

عاشراً : البسملة وقاية من الآفات قبل حدوثها ، وشفاء من الأسقام والأوجاع عند نزولها بإذن الله .

المراجـــع :

1 ــ الألوســـي : شهاب الدين محمود ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ــ مكتبة دار التراث ــ القاهرة .

ــ البخاري : محمد بن إسماعيل :

2 ــ صحيح البخاري بشرحه فتح الباري،المطبعة السلفية ــ القاهرة،ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي .

3 ــ الضعفاء الصغير ، دار القلم ــ بيروت ، ط1 ، 1405 ــ 1985 .

4 ــ البغوي :الحسين بن مسعود ، معالم التنزيل ، دار الفكر ــ بيروت، 1405 ــ 1985 .

5 ــ الـــبقاعي : إبراهـــيم بن عمر ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ، 1415 ــ 1995 .

6 ــ البنا : حسن ، مقاصد القرآن الكريم ، دار الشهاب ، 1399 ــ 1979 .

7 ــ البيضاوي :عبد الله بن عمر ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، دار الفكر ــ بيروت .

ــ البيهقي : أحمد بن الحسين :ــ

8 ــ السنن الكبرى ، دار المعرفة ــ بيروت .

9 ــ شـــعب الإيمان ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ، ط1 ، 1410 ــ 1990 ، تحقيق : محمد السعيد زغلول .

10 ــ الترمذي : محمد بن عيسى ، سنن الترمذي ، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ، تحقيق أحمد محمد شاكر .

11 ــ الثعالبي : عبد الملك بن محمد ، فقه اللغة وسر العربية ، 1392 ــ 1972 ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون .

12 ــ ابن جزي : محمد بن أحمد ، التسهيل لعلوم التنزيل ، مطبعة حسان ــ القاهرة ، تحقيق محمد اليونسي وإبراهيم عطوة .

13 ــ الجصاص : أحمد بن علي الرازي ، أحكام القرآن ، دار الفكر ــ بيروت .

14 ــ ابـــن الجوزي : جمال الدين عبد الرحمن بـــن علي ، زاد المسير في علم التفسير ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ، ط1 ، 1414 ــ 1994 .

15 ــ الجوهري : إسماعيل بن حماد ، الصحاح ، ط2 ، 1402 ــ 1982 .

16 ــ الحاكم:محمد بن عبد الله النيسابوري،المستدرك على الصحيحين،دار المعرفة ــ بيروت .

ـــ ابن حبان : محمد بن أحمد :ـــ
17 ـــ صحيح ابن حبان ، مؤسسة الرسالة ، ط2 ، 1414 ـــ 1993 ، ترتيب علاء الدين بن بلبان الفارسي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط .
18 ـــ المجروحين ، دار الوعي ـــ حلب ، ط2 ، 1402 .
ـــ ابن حجر العسقلاني : أحمد بن علي :ـــ
19 ـــ تقريب التهذيب ، دار المعرفة ـــ بيروت ، 1395 ـــ 1975 .
20 ـــ فتح الباري شرح صحيح البخاري ، المطبعة السلفية .
21 ـــ ابن حنبل : أحمد ، المسند ، دار الفكر ـــ بيروت .
22 ـــ أبو حيان الأندلسي:محمد بن يوسف،البحر المحيط،دار الفكر ـــ بيروت، 1412 ـــ 1992.
23 ـــ الدارقطني : علي بن عمر ، الضعفاء والمتروكون ، دار القلم ـــ بيروت ، ط1 ، 1405 ـــ 1985 .
24 ـــ الرازي : فخر الدين محمد بن عمر ، التفسير الكبير ، دار الفكر ـــ بيروت ، 1403 ـــ 1981 .
25 ـــ رضا : محمد رشيد ، تفسير المنار ، دار المنار ـــ مصر ، ط4 ، 1373 .
26 ـــ الزجاج : إبراهيم بن السري ،معاني القرآن وإعرابه ،عالم الكتب ـــ بيروت ، ط1 ، 1408 ـــ 1988 .
27 ـــ الزمخشري : محمود بن عمر ، الكشاف عن حقائق التنزيل ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .
28 ـــ السجستاني : أبو داود سليمان بن الأشعث ،سنن أبي داود مع شرحها عون المعبود ، المكتبة السلفية ـــ المدينة المنورة ، ط2 ، 1388 ـــ 1968 ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان .
29 ـــ السعدي : عبد الرحمن بن ناصر ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، إدارة البحوث والإفتاء ـــ الرياض .
30 ـــ أبو السعود :ابن محمد العمادي،إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، مكتبة الرياض الحديثة ـــ الرياض، 1401 ـــ 1981 .
31 ـــ السمرقندي : أبو الليث محمد بن أحمد (ت 375) بحر العلوم ، دار الكتب العلمية، ط1 ، 1413 ـــ 1993،تحقيق علي محمد و عادل أحمد و د. زكريا عبد المجيد .

32 ــ شاكر : أحمد محمد ، شرح سنن الترمذي ، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت .
33 ــ الشنقيطي: محمد الأمين ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ط2، 1400 ــ 1979 .
34 ــ الشوكاني : محمد بن علي ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، دار الفكر ــ بيروت ، لم تذكر الطبعة ولا سنة الطبع .
35 ــ الشيرازي: أبو إسحق إبراهيم بن علي،المهذب مع تكملة المجموع ، المكتبة العالمية ــ القاهرة
36 ــ الصنعاني : عبد الرزاق بن همام ، المصنف ، منشورات المجلس العلمي ، تحقيق وتخريج حبيب الرحمن الأعظمي .
37 ــ الطبراني : سليمان بن أحمد ، المعجم الكبير ، الدار العربية ــ بغداد ، 1978 ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي .
38 ــ الطبري : محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ــ القاهرة ، ط3 ، 1388 ــ 1968 .
39 ــ ابن عاشور : محمد الطاهر،التحرير والتنوير،الدار التونسية للنشر ــ تونس، 1984 .
40 ــ ابن عطية : عبد الحق بن غالب الأندلسي ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ، 1413 ــ 1993 .
41 ــ الفراهيدي : الخليل بن أحمد ، العين ، ط1 ، 1414 ، تحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي .
42 ــ القرطبي : محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ، ط1 ، 1408 ــ 1988 .
43 ــ قطب :سيد ، في ظلال القرآن،دار إحياء التراث العربي ــ بيروت،ط7، 1391ــ 1971 .
ــ ابن القيم : محمد بن أبي بكر :ــ
44 ــ بدائع الفوائد ، دار الكتاب العربي ــ بيروت .
45 ــ مدارج السالكين ، دار الكتاب العربي ــ بيروت ، 1392 ــ 1972 .
46 ــ ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر ، تفسير القرآن العظيم ، دار إحياء الكتب العربية ، خال عن الطبعة وسنة الطبع .
47 ــ الكياالهراس : عماد الدين بن محمد الطبري ، أحكام القرآن ، دار الكتب الحديثة ــ القاهرة ، تحقيق موسى محمد و د. عزت علي .

48 ــ ابن ماجة : محمد بن يزيد ، سنن ابن ماجة ، المكتبة العلمية ــ بيروت ، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي .

49 ــ الماوردي : علي بن محمد ، النكت والعيون ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ، مراجعة وتعليق السيد بن عبد المقصود .

50 ــ مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، المكتبة العلمية ــ طهران .

51 ــ ابــــن معين : يحيى ، التاريــخ ، مركــز البحث العلمي ــ مكــة المكرمة ، تحقيق أحمد محمد نور سيف .

52 ــ ابن مفلح :إبراهيم بن محمد ،المبدع،المكتب الإسلامي ــ بيروت، 1400 ــ 1980.

53 ــ المناوي :محمد عبد الرؤوف،فيض القدير شرح الجامع الصغي ر، دار الفكر ــ بيروت .

54 ــ ابن منظــور : محمــد بــن مكــرم ، لســان العرب ، ط1 ، دار صادر ــ بيروت ، ط3 ، 1410 ــ 1990 .

ــ النسائي : أحمد بن شعيب :ــ

55 ــ الضعفاء والمتروكون ، دار القلم ، بيروت ، ط1 ، 1405 ــ 1985 .

56 ــ عمــل الــيوم والليلة ، مؤسسة الرسالة ــ بيروت ، ط2 ، 1406 ــ 1985 ، تحقيق د. فاروق حمادة .

57 ــ النسفي :عبد الله بن أحمد،مدارك التنزيل وحقائق التأويل ،دار إحياء الكتب العربية .

58 ــ النووي : يحيى بن شرف ، شرح النووي على صحيح مسلم ، المطبعة المصرية .

59 ــ النيسابوري : مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، دار الفكر ــ بيروت ، 1403 ــ 1983 ، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي .

60 ــ الهيــثمي : نــور الدين علي بن أبي بكر ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، مؤسسة المعارف ــ بيروت ، 1406 ــ 1986 .